تفريغ محاضرة

منازل الأرواح

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٠-٧-١٤٤٢هـ

" منازل الأرواح "

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

أما بعد...

حينما نعرف حقيقة الموت وأنه يقين وحقيقة فليس شك وارتياب، فلا يظن ظان أن هذا الموت قد يكون مرحلة لناس دون آخرين، ولا يوجد دواء يمنح الإنسان حياة سرمدية وأبدية، إذ أن هذا الجسد لابد له من الفناء والذبول والموت.

تحدثنا في اللقاء الماضي بنوع من التفصيل عن الساعة الأولى أو الثواني الأولى أو اللحظة التي تخرج فيها الأرواح، فهي قد تكون الخمس دقائق الأولى من مفارقتك لهذه الدنيا، فبدأنا باستقبال الملكين له ثم تفتح أبواب السماء له، و سؤال الملكين له، و العمل الصالح الذي يأتيه على صورة رجل حسن الوجه وحسن الثياب فيقول له أبشر بالذي يسرك، وعن حال المؤمن وحال الكافر في هذه اللحظات التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم .

فكل الذي تحدثنا عنه هي اللحظات الأولى لاستقبال الحياة البرزخية!

لكن ما الذي يحصل للروح بعد ذلك؟

هل عند رؤية المؤمن مقعده من الجنة سيكون سعيدا هانئا إلى قيام الساعة؟ أم أنه سيعذب على ذنوبه ويجازى عليها؟ وما حال العبد الفاجر والمنافق في قبره هل سيبقى في عذاب سرمدي إلى يوم القيامة؟

- **<u>ماذا يحدث للأرواح؟</u>**

سأل الصحابة -رضوان الله عليهم - الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكانوا يكثرون من سؤال ماذا يحصل للأرواح بعد الموت؟

يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله- سُئل هذا السؤال فقال: " روح المؤمن ترفع إلى الله ثم ترد إلى جسدها للسؤال، ثم بعد ذلك جاء الحديث أنها تكون في الجنة طائر يعلق في شجر الجنة، روح المؤمن، ويردها الله إلى جسدها إذا شاء "

أما روح الكافر تغلق عنها أبواب السماء وتطرح طرحًا إلى الأرض وترجع إلى جسدها للسؤال، وتعذب في قبرها مع الجسد، نسأل الله العافية.

وأما روح المؤمن فإنها تنعم في الجنة وترجع إلى جسدها إذا شاء الله، وترجع إليه أول ما يوضع في القبر حتى يسأل، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، والمؤمن إذا خرجت روحه يخرج منها كأطيب ريح يحسه الملائكة ويقولون: ما هذه الروح الطيبة؟ ثم تفتح لها أبواب السماء حتى تصل إلى الله، فيقول الله لها: ردوها إلى عبدي فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم تعاد روحه إلى جسده ليسأل، ثم جاءت الأحاديث بأن هذه الروح تكون في الجنة بشبه طائر، بصفة طائر تعلق في أشجار الجنة، وأرواح الشهداء في أجواف طير خضر.

أما روح المؤمنين فهي نفسها تكون طائر كما روى ذلك أحمد وغيره بإسناد صحيح عن كعب بن مالك -رضي الله تعالى -عنه عن النبي ﷺ.

وأما روح الكافر فتغلق عنها أبواب السماء وتُطرح طرحً إلى الأرض وتُرجع إلى جسدها للسؤال، هذا كلام الشيخ ابن باز، وتُعذّب في قبرها مع الجسد، فروحه مع قبره في الضيق والظلمة في هذا القبر تُعذّب عليه في قبره نسأل الله العافية.

- **<u>منازل الأرواح ومراتبها.</u>**

خص الله الروح بنعيم مختلف في حياة البرزخ ؛ لسهولة تنقلها للسماء ثم رجوعها للجسد .فما هو نعيم ومنزلة هذه الأرواح؟

يقول ابن القيم -رحمه الله- : " الأرواح لها مستقرٌ في البرزخ، وكما تتفاوت منازلها في الدنيا بالعلم والإيمان كذلك تتفاوت منازلها في الآخرة، وإن للروح شأن غير شأن البدن."

إذًا هذه الروح بها كيفية لا يعلمها إلا الله عزوجل، لذلك ليس من السهل الخوض في أمور غيبية الّا بنص وإلا بدليل، ولذلك لو لم يأتِ الدليل على أن نسمة المؤمن وروح المؤمن هي طير تعلق من أشجار الجنة وإلا ما استطعنا أن نتحدث عن مصير هذه الأرواح .

وتنقسم الأرواح إلى قسمين: مرسلة و محبوسة .

مرسلة يطلقها الله سبحانه وتعالى فتصعد إلى السماء وترى مقعدها في الجنة، و محبوسة تحبس داخل ضيق القبر وهذا نوع من العذاب والعياذ بالله .

وهناك أيضًا أرواح علوية و أرواح سفلية.

أولا : ولنبدأ بأعلى الأرواح منازلا، وهم الأنبياء -رضوان الله عليهم-،

وهم في أعلى عليين ولذلك نحن عندما ندعو ماذا نقول؟ اللهم الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، نتكلم عن المنازل العلية.

وهي المنزلة التي يجب أن نتنافس ونتسابق عليها ليلا ونهارا بأن نكون في أعلى عليين .

والنفس البشرية تطمع لما هو أفضل وتشتهي من النعيم ما هو أفضل وهذا حالها في الدنيا فكيف بالآخرة وبين منازل الجنة ؟

تقول عائشة -رضي الله عنها:- كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير» فلما نزل به، ورأسه على فخذي غشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى». فقلت: إذا لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها: «اللهم الرفيق الأعلى» رواه البخاري.

قيل الرفيق الأعلى بمعنى: الله عزوجل وقيل بمعنى الجنة وقيل أن الرفيق الأعلى هم الأنبياء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذا الراجح.

نلاحظ هنا أن النبي -عليه الصلاة والسلام -لم يقل في آخر كلامه(أشهد أن لا إله الا الله) وهو الذي ذكر دائمًا هذا الحديث "أن من خُتمت له بـ لا إله إلا الله دخل الجنة"، ومن علامات حسن الخاتمة أن يذكر الله سبحانه وتعالى في آخر كلامه، فماذا قال العلماء عن هذه اللحظة؟

قال السهيلي: "الحكمة من اختتام حياة المصطفى بهذه الكلمة؛ كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب وهذه من أعظم المنازل. وفيها رخصةً لأمته حتى لا يُظن بأي أحدٍ لم يذكر أو ما استطاع نطق الشهادة أنها من سوء الخاتمة، فقد يكون ما في قلبه أعظم مما استطاع به تحرك لسانه فقد يُمنع لمرضٍ أو غيره".

والرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: "اللهم الرفيق الأعلى " لم يختر الدنيا أصلًا، بل الرفيق الأعلى هو الله عز وجل فخُيّر فاختار فمات عليه الصلاة والسلام .

ثانيا: أرواح الشهداء.

والشهداء صنفين :

1- قتلى المعارك الذين يستشهدون في معركة بين جيش مسلم وجيش كافر مثلا .

2- العلماء أيضًا في حكم الشهداء، لأنهم شهدوا أن لا إله إلاّ الله، ويشهّدهم الله، ففي يوم القيامة يجعلهم الله شهداء على أممهم وعلى كافّة الناس هل بلغوا، ويكونون شهداء أيضًا على الرسل.

فالرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: "اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد "رواه مسلم، فكان يشهدهم لأنه يعلم أن يوم القيامة سيستشهد الناس على أنبيائهم هل بلغوا الرسالة أم لا؟ فيكون من أوائل الذين يشهدون هؤلاء العلماء.

فأين هُم هؤلاء؟

هؤلاء أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالى:(وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) آل عمران: 16

وقد سأل مسروق عبد الله بن مسعود عن هذه الآية، فقال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون} [آل عمران: 169] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة»، فقال: " هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا" رواه مسلم

و هل يُستثنى من هؤلاء الشهداء أحد؟ فلا يتنعم هذا النعيم؟ مع أنه قُتل شهيدًا مُخلصًا مُقبلًا غير مُدبر.

جاء رجل إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال: " يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف قلت؟» قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك» رواه مسلم.

إذن كل شيء يُكفّر عن الشهيد مع أول دفقة من دمه، وهذه من السبع خصال التي تؤتى للشهيد ، إلا حقوق العباد لا تكفر .

ومثالٌ لذلك الغلّة التي غلّها الغلام و هي قطعة أو إيزار أو شال ولم تكن بالشيء الكثير، فعندما استشهد قال الصحابة : هنيئًا له الشهادة ، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا " رواه البخاري. لأنه أخذ مالًا بغير وجه حق، وهذا المال كان لجيش كامل.

إذن هؤلاء ومع أنهم شهداء ومع ذلك هناك من حقوق العباد تبقى عندهم يحبسون بها.

ثالثا: أرواح المؤمنين الصالحين:

فتكون طيوراً تعلق في شجر الجنة، ففي الحديث الذي يرويه عبد الرحمن بن كعب بن مالك -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة" رواه أحمد

<u>فما الفرق بين أرواح المؤمنين وأرواح الشهداء ؟</u>

إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح متنقلة في رياض الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش.

أما أرواح المؤمنين فإنها في أجواف طير يعلق ثمر الجنة ولا ينتقل في أرجائها. وكون أرواح المؤمنين في أجواف طير يعلق شجر الجنة لا يشكل عليه الحديث الآخر الذي يرويه أبو هريرة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله، وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا، حتى يأتون به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية" رواه النسائي، وصححه الألباني.

ولها بعد مفارقة الجسد صحةٌ ومرضٌ ولذة ونعيم وألمٌ وعذاب.

إذن هذه الروح تمرض وتصح وتتألم وتتنعم وتتعذب وأيضًا تتمتع، إذن هذه الروح الآن كأن لها إحساس مثل إحساس البدن لكنه يختلف عنها ، وهذه الروح الحياة قائمة عليها، فهي تصعد وتهبط ومحبوسة ومرسلة علوية أو سفلية، وأيضًا هذه الروح قد تتنعم وقد تتعذب.

وقد شبهها ابن القيم بتشبيه فقال: "وأشبه حالها - هذه الروح- مع البدن بحال ولدٍ في بطن أمّه، فإذا فارقت الدنيا فصارت كحال مفارقتها البدن."

- **<u>أين تذهب الأرواح؟</u>**

يحكي الله عزوجل عن مشاهد يوم القيامة ،فيقول تعالى :(وإذا النفوس زوجت) التكوير آية 7

من معانيها: أن كل روح تدخل في جسدها فتُزوج الأرواح بأجسادها.

ومن المعاني أيضًا: أن الأرواح تُبعث وتُجمع على أشكالها. فكل أناس مع نظرائهم، فأهل الحديث مع أهل الحديث، وأهل الخير والصلاح مع أهل الخير والصلاح.

فعلى المرء أن ينتقي أقرانه وأحباءه ، وأن يتأمل قلبه بما امتلأ ليعرف ما أحب، فأنت مع من أحببت يوم القيامة.

لذلك نحن نقول: اللهم اجعلنا مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

- **أين تكون بقية الأرواح المؤمنة ؟**

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله، وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا، حتى يأتون به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز وجل، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار" رواه النسائي، وصححه الألباني.

يحدّث هذا الحديث الذي أخرجه النسائي وصححه الألباني أن فيه دليل يُفهم من هذا الحديث أن الأموات لا يعرفون عن أخبارنا وأحوالنا وأنهم يسألون عن أخبار أهل الدنيا. فهؤلاء الذين ماتوا تكون أرواحهم طيرًا في الجنة تأكل من أعالي شجر الجنة وهذه عامة للمؤمنين.

و يفهم أيضا أن أرواح المؤمنين تجتمع في مكان وأرواح الفجّار أيضًا تجتمع في مكان آخر، وكما قال الله عزوجل "فأمّا كتاب المؤمنين فيكون في عليين وأما كتاب الفجار ففي سجين".

(كلا إن كتاب الفجار لفي سجّين) وقال: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليّين)

قال الحافظ ابن عبد البر: "أنها تكون عامة للمؤمنين سواء كانوا شهداء أو غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنّة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو والرحمة تغشاهم، فهؤلاء أرواحهم تكون طيورًا تأكل من شجر الجنة".

وأن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء، قال: «يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» رواه البخاري.

وهل للمخطئين من حسابٍ في البرزخ؟

تعرفنا عن حال المؤمنين ونعيمهم ولكن ،ماذا عن المخطئين ؟ماذا عن الذين جمعوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا؟ ماتوا ولم يتوبوا من ذنوبهم، يصلون يصومون و لكن عندهم ذنوب ماتابوا منها وانتهت آجالهم في لحظات في حادث سيارة، أو جلطة أيًا كانت ولم تكن لهم توبة من تلك الذنوب.

فماذا يحصل لهم؟ وأين تكون أرواحهم؟

ولمغبّة فعل السيئات ثمن!

هؤلاء جزمًا هُم تحت المشيئة، إن شاء الله غفرها لهم، في لحظة موت يُختم له بعمل صالح ويُغفر له كل ما كان،

وإن شاء الله عذّبه، فإذن هو تحت المشيئة،

وجاءت أحاديث كثيرة في عالم البرزخ عن أُناس مؤمنين وصالحين ومنهم هذا الغلام الذي استُشهد شهيدًا وإنما حُبس في قبره ويشتعل عليه نارًا للشملة التي غلّها مع أنه صحابي وهو يُقاتل مع النبي -عليه الصلاة والسلام- وكان خادما للنبي -عليه الصلاة والسلام- ومع ذلك اشتعل عليه قبره لهذه الغلة،

إذا قد يعذب الإنسان في قبره.

وهناك أمر مهم علينا معرفته وهو أن الإنسان قد تغلب حسناته سيئاته،

ولذلك من رحمة الله – عز وجل- على عباده أنه لم يجعل الحكم النهائي في أول لحظة موتك فتكون من أهل الشقاء أو من أهل النعيم لمجرد لحظة موتك فيكون هنا مجزوم بحالك إما في الجنة وإما في النار لا ،

فمن رحمة الله -عز وجل- أن جعل القبر وضغطته وفتنته وعذابه تطهير للمؤمن المذنب فلا يصل إلى يوم القيامة وإلى الميزان إلا وقد تطهر من ذنوبه أو خففت عليه المحاسبة إذا شاء الله ذلك .

ويُسأل المشايخ هل يعذب المُؤمن في قبره ؟

فيقول الشيخ ابن عثيمين : "قد ينجو من السؤال وينجو من فتنة القبر ويرى مقعده من الجنة وبعد ذلك يعذب على شيء من ذنوبه تطهيرًا له وحتى لا يفد إليه يوم القيامة فيضطر إلى أن يدخل النار فتكون من رحمة الله به أن يعذبه في العذاب في البرزخ فيتطهر بها "

ومتى يهنأ المؤمن بالنعيم؟

يقول الإمام أحمد عندما سئل متى يرتاح المؤمن؟ فقال: "عند أول قدم يضعها في الجنة "

ويقول القرطبي : "والذي تدل عليه الأخبار -يعني الآيات- أن من ثقل ميزانه فقد نجا ، وسلم وبالجنة أيقن وعلم أنه لا يدخل النار محالة"

وكان العلماء يقولون: "من رحمة الله أن الميزان لا يوزن به العبد في لحظة موته وإنما يوزن في يوم القيامة" فهناك أعمال تحسب للإنسان أثناء موته ، فلو كان من أهل الخير والصلاح ومن الذين استعدوا لذلك اليوم بأوقاف وأعمال جارية، وأبناء صالحين يدعون له، وعلم ينتفع به كلها أعمال تحسب خلال هذه السنين إلى قيام الساعة ، فلا تقوم إلا وقد فاقت حسناته جبل أحد بإذن الله .

توفيت أم إبراهيم السحيمي ونحسبها والله حسيبها أنها من أهل الخير والصلاح ، فكان النبي -عليه الصلاة والسلام-

يقول: (أنتم شهداء الله في الأرض) رواه البخاري. فيشهد لها من ضج أصلًا من الناس وممن عرفها وممن لم يعرفها ولم يعرف بأعمال الخير رجالًا ونساءً شرقًا غربًا ،إذا هؤلاء لا تتوقف عندهم عداد الحسنات .

فإذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث ، فماهم هؤلاء الثلاث؟

" صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " رواه مسلم.

ومثلهم من لا تتوقف عليهم عداد السيئات فالإنسان الذي يفتح أبواب الشر على أناس صالحين ،وأناس ما ذاقوا الشر ولا عرفوه فيستفتح عليهم باب شر الناس الأوائل في الشر ، و أول من بدأ بهذا الذنب ،و أول من لبست هذا اللبس ، و أول من جرأ الناس على ارتكاب الذنب وابتداع البدع فلا تحسبنهم بمثابة عن العذاب بل تحمل وتجمع أوزارهم وأوزار من اتبعهم إلى يوم القيامة .

"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" رواه البخاري.

شخص توفي ابنه وفي أثناء تغسيله لم تظهر عليه علامات الصلاح أو علامات مبشرة ، عندما فرغ المغسل من تغسيله توجه إلى والده بخطوات تجر بالأسى على هذا الشاب ، فوجد والده واقفا على باب المغسلة يجمع أنفاسه الحزينة ويفرغها في سيجارة بين يديه -والعياذ بالله -

فسأله المغسل : هل كان ابنك من عداد المصلين ؟

فأجاب والده : في الحقيقة أنا لا أعلم إن كان يعرف الصلاة بأصلها .-لا حول ولا قوة إلا بالله -

فالابن هنا صلى أو لم يصلِّ فهو في ميزانه، و لكن أيضًا هو في ميزان الأب الذي لم يكن يأمر ابنه بالصلاة في ميزان الأم إذا لم تكن تأمر أبناءها بالصلاة ولم تعلمهم عليها أساسًا ولذلك قال الله تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) طه 132

(**اصطبر عليها**) : لأنه ليس من السهل إيقاظ الأبناء للصلاة والمداومة على هذا الفعل، وليس بالأمر السهل إنشاء هذا الابن الصالح الذي سيدعو لك بل يحتاج إلى جهاد ودعاء وتوجيه وحلم وأناة ، " فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"

ونحن لا نعلم ما الأجور التي ستبقى لنا إلى يوم القيامة ،وما الذي سيبقى من الحسنات بعد المقاصة غير الميزان وهي بعد مجاوزة الصراط وقبل دخول الجنة ،

فيبقى المؤمنين فيهم مظالم بعضهم بين بعض، فهذا قد شتم هذا، وهذا قد ظلم هذا، وهذا قد اغتاب هذا ‘

فما يبقى بعض المقاصة من أجر فهو له، فيؤخذ من حسناته فتوضع لهذا وتوضع لهذا، فنحن لا نستطيع حساب حسناتنا ولا سيئاتنا، فنتزود من خلال تربية الأبناء وحفر الآبار والصدقات و الصيام والذكر .

- **أسباب عذاب القبر**

هل هناك أسباب يعذب عليها الناس في قبورهم؟

نعم فهناك أسباب مباشرة يقول ابن القيم: "فأما المجمل فإنهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره ، وأما الآخرين فإن الله لا يعذب روحًا عرفته وأحبته وامتثل بأمره واجتنبت نهيه ولا بدنًا كانت فيه أبدًا " فقد لا يعذب المؤمن على معصية بل يعذب على جهله بربه ، وقد رزقه الله كافة الوسائل والطرق للتعرف عليه لكنه أعرض عن ذلك ، ظنا منه سقوط الحجة .

فكيف يعبد الله على أكمل وجه وقد أعرض عن تفقهه بالله .

فقول ابن القيم يعني : هذا الذي جهل بالله وأضاع أمره هؤلاء هم الذين يعذبون في قبورهم أما روح أحبت الله -عز وجل- واتبعت طريقه واجتنبت نهيه وفعلت أمره فالله لا يعذبها .

وجاء في حديث عن الرسول -صلى الله عليه وسلم -يفصل فيه هؤلاء الناس الذين يعذبون في قبورهم بأمور منها:

أولًا: الشرك بالله عز وجل.

روى زيد بن ثابت يقول: " بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - قال: كذا كان يقول الجريري - فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ " قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه» ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر" رواه مسلم.

إذن الشاهد عندما قال :(ماتوا في الإشراك) من أهم الأسباب التي قد يعذب عليها الإنسان في قبره هو الإشراك والشرك بالله لا يقتصر على عبادة الأصنام أو الذبح لغير الله بل هو أعمق من ذلك ، فالشرك أنواع ومنه اتباع الهوا ، يقول الله تعالى : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) الجاثية23 ،ولذلك علينا بأن نعلم من نسمع له ومن يحركنا في هذه الحياة .

ثانيا: هو النفاق والمنافقين .

وهم الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ، فهم بين المسلمين يعيشون كما يعيشون ولكنهم يظهرون ما لا يُبطنون يبغضون الإسلام و يتربصون بكم يقول الله -عز وجل-: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) التوبة 101

مرتين أين ؟ مرة في الدنيا ومرة في القبر ، ثم يردون إلى عذاب الآخرة وهو النار .

ثالثا: تغيير شرع الله .

فيحل ما حرم الله -عز وجل- أو يحرم ما أحل الله .

إذا الناس التي تأتي بشرع جديد لا يظنون أن هذا أمر عادي ومقبول ، بل هو أمر عظيم يجر من بعده الويل والعذاب الأليم .

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- : «رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب» رواه البخاري.

كان العرب على دين إبراهيم -عليه السلام- و عمرو بن عامر الخزاعي هذا جاء بنوع من التجديد كان رجل تجديد في ذلك الوقت فماذا فعل ؟ فقام مشيرا على قومه بتسييب السوائب وهو نوع من الطقوس الشركية في الجمال أو في الدواب يسيبونها فلا تعتبر من أملاك أحد ، و هذا الشيء فيه ابتداع شيء لم يشرعه الله فحرم ما أحله الله -عز وجل- فهو في النار يوم القيامة يجرجر أمعاءه فيها .

رابعا : عدم الاستبراء من البول ، والمشي بالنميمة .

مر النبي -عليه الصلاة والسلام- يوما على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» رواه البخاري.

خامسا : الكذب .

والكذب من عذاب القبر من أسباب عذاب القبر ،قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث سمرة بن جندب يقول: " فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، - قال: وربما قال أبو رجاء: فيشق - " قال: «ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى» قال: " قلت: سبحان الله ما هذان؟ فيقال له في آخر الحديث: فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق" رواه البخاري.

سادسا : الذي يهجر القرآن بعد تعلمه وينام عن الصلاة المكتوبة .

وفي حديث سمرة بن جندب يقول :مر النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: " وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى» قال: " قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ قالا لي: أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة " رواه البخاري.

قال ابن حجر هنا لفتة مهمة: (رفض القرآن بعد حفظه جنايةً عظيمة) وهذا القرآن عزيز ، فمن ذاق حلاوته وحفظه ثم أعرض عنه فقد ارتكب جناية عظيمة .

سابعا : أكل الربا .

آكل الربا في حديث سمرة قال: " فانطلقنا، فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول - أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرا» قال: " قلت لهما: ما هذان؟ قالا له: أما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر، فإنه آكل الربا" رواه البخاري.

و آكل الربا ليس بالضرورة أن يكون مليونيرا، بل هو يبدأ من صغائر المعاملات المالية من قروض ربوية أو فوائد بنكية وغيرها من المعاملات غير المشروعة ، فاحتراز المال الحلال منجاة من عذاب القبر .

ثامنا :الزنا .

في حديث سمرة قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: " فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور - قال: فأحسب أنه كان يقول - فإذا فيه لغط وأصوات " قال: «فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا» قال: " قلت لهما: ما هؤلاء؟ " قالا: "وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني " رواه البخاري.

فمن هم الزناة والزواني؟

والزنا أنواع ومراتب «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية» رواه النسائي، وصححه الألباني.

" فالعين تزني وزناها النظر والفم يزني وزناه الكلام والرجل تزني اليد تزني فالجوارح كلها تزني وكل واحد منهم نوع من أنواع الزنا ثم قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: "والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه ."رواه البخاري.

تاسعا : الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي -عليه الصلاة والسلام-: يقول: "مررتُ ليلةَ أُسريَ بي على قومٍ تُقرضُ شِفاهُهم بمقاريضَ من نارٍ، كلما قُرضَت عادت، فقلتُ: يا جبريلُ ! من هؤلاءِ؟ قال: خطباءُ من أمّتِك، يقولون ما لا يفعلون." رواه أحمد، وحسّنه الألباني.

فلا يظن إنسان أنه حينما يتحدث الكلمة بالخير وتنسى نفسك تكذب على الناس يأمرهم بالخير ثم لا يفعل هذا الخير ولا يردع نفسه عنه فلا تظنون أنه بمفازة من العذاب ، وإنما تقرض شفاههم بالمقاريض والمقارض هي مثل الزراديات وهو نوع من أنواع المقصات و المفكات لكنها لا تفك حديدا بل تفك الجلد وتقطع اللحم

عاشرا: الذين يفطرون في رمضان قبل تحلة صومهم .

هؤلاء الناس إذا أقبل عليهم رمضان يفطرون نهاره بغير عذر ، فما هو عذابهم ؟

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: " بينا أنا نائم، إذ أتاني رجلان، فأخذا بضبعي، فأتيا بي جبلا وعرا، فقالا لي: اصعد. فقلت: إني لا أطيق. فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى كنت في سواء الجبل، إذا أنا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا هو عواء أهل النار، ثم انطلق بي، فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دما، فقلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم" رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

الحادي عشر :هو جر الثوب خيلاء .

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» رواه البخاري.

عذاب برزخي يتجلجل يوم القيامة لأنه جر ثوبه خيلاء .

الثاني عشر والذي نختم به : التي حبست الهرة .

و هي التي رآها النبي -عليه الصلاة والسلام- في صلاة الكسوف فقال: " وعرضت علي النار، فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها، ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض " رواه مسلم.

فإذًا هذه الهرة التي لم تقم بحقها كانت لها سبب من أسباب عذاب البرزخ فهي لم ترحمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، فالرحمة من أسباب النجاة من عذاب البرزخ .

- **ختام**

هل هناك أشياء تنجي من عذاب القبر؟ نعم .. هناك طائفة من الأعمال التي تنجي من عذاب القبر .. وهي بإذن الله الذي سنأخذها في درسنا القادم بإذن الله.

إلى ذلك الوقت هذه الأعمال يجب على الإنسان أن يتجنبها وأسهل مما أن نتحدث من الذي ينجينا من عذاب القبر أصلًا أنك لا تفعل ما يستوجب عليك هذا العذاب فما استطاع الإنسان أنه يستقل من عمل السيئات وأنه لا يفعل شيء من عمل السيئات أن يستقل منها وليتخفف منها وليتركها ،

ونسأل الله أن يجعلنا ممن تنير عليهم قبورهم وأن يجعلنا من المؤمنين الصالحين الذين يكونون مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا .. هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها